لان اللورد سولسبري وهو يومئذٍ وزير الانكليز عدَّ فعل الرئيس اهانة لسفيره فلم يعيّن سفيراً بدله حتى انتهت الانتخابات الاميركية وخرج كليفلاند من منصب الرئاسة

هذا الذي لا يجوز للسفراء واما الذي يجوز فاكثر منهُ كما رأيت وليس في الارض فئة اخرى تتنعم بكل هـذه النعمة وهذا الامتياز في ديار المتمدنين

اسكندر شاهين

الاندلس الجديدة

تنشر لقراء « الزهور » في الصفحات التالية قصيدة عصماء في رثاء مقدونيا وخروجها من يد الدولة العثمانية بعد عقد الصلح في مؤتمر لندرا . وهذه القصيدة من أبدع ما جاءت به قريحة شاعر عربي ، فقد جمعت من جزالة اللفظ ومتانة السبك وسموّ الخيال وبلاغة الارشاد ما يستفز القارىء طرباً عند كل بيت من أبياتها ، ويستوقفه معجباً بكل معنى من معانيها . اما ناظم دررها الغوالي فيحق له ان يجلس على عرش دولة البيان ويلقب بأمير الشعر في هذا العصر ، كما يسلم بذلك كل من يطالع هذه القصيدة النفيسة ، وان كان يؤاخذ شاعرها بانه مزج الدين بالسياسة — ولا دين للسياسة . فها هي الدول التي كانت معادية لتركيا بالامس تكاد اليوم تشهر بعضها على بعض حرباً طاحنة وهي على دين واحد ومعتقد واحد :

يا أختَ أندَلُسٍ عليكِ سلامُ هوَتِ الخلافةُ عنكِ والإسلامُ
نزلَ الهلالُ عن السماءِ فلينَهـا طُويت وعمَّ العالمينَ ظلامُ
أزرى بهِ وأزالهُ عن أوجهِ قَدَرٌ يحطُّ البدرَ وهو تَمـامُ
جرحانِ تمضي الأمَّتانِ عليهما هذا يسيلُ وذاك لا يَلتـامُ
بكما أُصيبَ المسلمونَ وفيكما دُفنَ اليراعُ وغيّبَ الصمصامُ
لم يُطوَ مأتمُهـا وهذا مأتمٌ لبسُوا السوادَ عليكِ فيـهِ وقاموا
ما بين مصرعِها ومصرعكِ انقضت فيما نحبُّ ونكرهُ الأيّامُ

خلَتِ القرونُ كليلةٍ وتصرَّمت　　دولُ الفتوحِ كأنها أحلامُ
والدهرُ لا يألو الممالكَ منذراً　　فاذا غفلنَ فما عليهِ مَلامُ

* * *

مقدونيا ، والمسلمونَ عشيرةٌ ،　　كيف الخؤولةُ فيكِ والأعمامُ ؟
أتراهمو هانوا وكانَ بعزّهم　　وعلوّهم يتخايلُ الاسلامُ ؟
اذ أنتِ نابُ الليثِ ، كلُّ كتيبةٍ　　طلعت عليكِ فريسةٌ وطعامُ
ما زالتِ الأيامُ حتى بُدِّلتْ　　وتغيَّر الساقي وحالَ الجامُ
أرأيتِ كيفَ أُديلَ من أسدِ الشرى　　وشهدتِ كيف أُبيحتِ الآجامُ
زعموكِ همًّا للخلافة ناصباً　　وهلِ الممالكُ راحةٌ ومنامُ
ويقولُ قومٌ كنتِ أشأمَ موردٍ　　وأراكِ سائغةً عليكِ زحامُ
ويراكِ داءَ الملكِ ناسُ جهالةٍ　　بالملكِ منهم علةٌ وسقامُ
لو آثروا الاصلاحَ كنتِ لعرشهم　　ركناً على هامِ النجومِ يقامُ
وهمُ يقيّدُ بعضُهم بعضاً بهِ　　وقيودُ هذا العالمِ الأوهامُ
صُوَرُ العمى شتّى وأقبحُها اذا　　نظرتْ بغير عيونهنَّ الهامُ
ولقد يقامُ من السيوفِ وليسَ من　　عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيامُ

* * *

ومبشّرٍ بالصلحِ قلتُ لعلَّهُ　　خيرٌ عسى أن تصدقَ الأحلامُ
تركَ الفريقانِ القتالَ وهذهِ　　سلمٌ أمرُّ من القتالِ عقامُ
ينعى الينا الملكَ ناعٍ لم يطأ　　أرضاً ولا انتقلتْ بهِ أقدامُ
برقٌ جوانبهُ صواعقُ كلُّها　　ومن البروقِ صواعقٌ وغمامُ
ان كانَ شرٌّ ، زارَ غير مفارقٍ ،　　أو كانَ خيرٌ ، فالمزارُ لمامُ
بالأمس أفريقا تولّت وانقضى　　مُلكٌ على جيد الخضمِ جسامُ

نظم الهلالُ بهِ ممالكَ أربعاً أصبحنَ ليس لعِقدهنَّ نظامُ
من فتحِ هاشمَ أو أميَّةَ لم يضعْ آساسَها تترٌ ولا أعجامُ
واليوم حُكمُ اللهِ في مقدونيا لا نقضَ فيهِ لنا ولا ابرامُ
كانت من الغربِ البقيةُ فانقضت فعلى بني عثمانَ فيهِ سلامُ

* * *

أخذَ المدائنَ والقرى بخناقِها جيشٌ من المتحالفينَ لهامُ
غطَّت بهِ الأرضُ الفضاءَ وجوهَها وكست مناكبَها بهِ الآكامُ
تمشي المناكرُ بين أيدي خيلهِ أنَّى مشَى والبغيُ والإجرامُ
ويحثُّهُ باسم الكتابِ أقسَّةٌ نشطوا لما هو في الكتاب حَرامُ
ومسيطرون على الممالكِ سُخِّرت لهم الشعوبُ كأنها أنعامُ
من كلِّ جزّارٍ يرومُ الصدرَ في نادي الملوكِ وجدّهُ غنّامُ
سكّينهُ ويمينهُ وحزامهُ والصولجانُ جميعُها آثامُ

* * *

عيسَى سبيلُك رحمةٌ ومحبةٌ في العالمينَ وعصمةٌ وسلامُ
ما كنتَ سفّاكَ الدماءِ ولا آمراً هانَ الضعافُ عليهِ والأيتامُ
يا حاملَ الآلامِ عن هذا الورى كثُرت عليهِ بآسمكَ الآلامُ
أنت الذي جعلَ العبادَ جميعَهم رَحماً وبآسمك تُقطعُ الأرحامُ
أتتِ القيامةُ في ولاية يوسفٍ[1] واليومَ بآسمكَ مرتين تقامُ
كم هاجَهُ صيدُ الملوكِ وهاجَهم وتكافأ الفرسانُ والأعلامُ
البغيُ في دينِ الجميعِ دنيّةٌ والسلم عهدٌ والقتالُ ذمامُ
واليومَ يهتف بالصليبِ عصائبٌ هم للاله وروحهِ ظُلّامُ

(١) يوسف صلاح الدين الايوبي

خنطوا صليبَك والخناجرَ والمُدى كلٌّ اداةٌ للأذى وحِمامُ
أوَ ما تراهم ذبَّحوا جيرانَهم بين البيوتِ كأنهم أغنامُ
كم مُرضَعٍ في حجر نعمتِهِ غدا ولهُ على حدِّ السيوفِ فطامُ
وصبيةٍ هُتكت خميلةُ طهرِهـا وتناثرت عن نَورهِ الاكمامُ
وأخي ثمانينَ استبيح وقارُهُ لم يُغنِ عنهُ الضعفُ والأعوامُ
وجريحِ حربٍ ظامئٍ وأذوهُ لم يعطفهمو جرحُ دمٍ وأوامُ
ومهاجرينَ تنكَّرت أوطانُهم ضلّوا السبيلَ من الذهولِ وهاموا
السيفُ ان ركبوا الفرارَ سبيلُهم والنطعُ ان طلبوا القرار مقامُ
يتلفّتونَ مودّعينَ ديارَهم واللحظُ ماءٌ والديارُ ضرامُ

* * *

يا أمةً بفروقَ فرَّقَ بينهم قَدَرٌ تطيشُ اذا أتى الأحلامُ
فيما التخاذلُ بينكم ووراءكم أممٌ تُضاعُ حقوقُها وتضامُ
الله يشهد لم أكن متحزّباً في الرزءِ لا شيعٌ ولا أحزامُ (١)
واذا دعوتُ الى الوئام فشاعرٌ أقصى منـاه محبـةٌ ووئامُ
من تُضجرُ البلوى فغايةُ جهدهِ رُجْعَى الى الأقدار واستسلامُ
لا يأخذنَّ على العواقب بعضكم بعضاً فقِدماً جارتِ الأحكامُ
تقضي على المرءِ الليـالي أو لهُ فالحمد من سلطانها والذامُ
من عادةِ التأريخ ملءُ قضائهِ عدلٌ وملءُ كنانتَيهِ سهـامُ
ما ليس يدفعـهُ المهنَّدُ مصلتاً لا الكتْبُ تدفعـهُ ولا الأقلامُ
انَّ الأُلى فتحوا الفتوح جلائلاً دخلوا على الأُسُدِ الغياضَ وناموا
هذا جنـاه عليكمو آباؤُكم صبراً وصفحاً فالجناة كرامُ

(١) الاحزاب وزناً ومعنى

رفعوا على السيف البنـاء فلم يَدُمْ ما للبنـاء على السيوف دوامُ
أبقى الممالكِ ما المعـارف أسّهُ والعدل فيـهِ حائطٌ ودعامُ
فاذا جرى رشداً ويمناً أمرُكم فامشوا بنورِ العـلم فهو زمامُ
ودعوا التفاخرَ بالتُراث وان غلا فالمجد كسبٌ والزمان عصامُ
ان الغرور اذا تملَّك أمةً كالزهر يُخفي الموت وهو زؤامُ
لا يعدلنَّ المُلك في شهواتكم عَرَضٌ من الدنيـا بدا وحُطامُ
ومناصبٌ في غير موضعها كما حلَّت محلَّ القدرة الأصنـامُ
الملكُ مرتبة الشعوبِ فان يفتْ عزَّ السيـادة فالشعوب سوامُ
ومن البهائم مُشبَعٌ ومدلَّلٌ ومن الحرير شكيمةٌ ولجامُ
وقف الزمانُ بكم كموقف «طارقٍ» اليأس خلفٌ والرجاء أمامُ
الصبر والإقدام فيهِ اذا هما قَتلاَ فأقتلُ منهمـا الإحجامُ
يُحصي الذليلُ مدى مطالبهِ ولا يُحصي مدى المستقبَلِ المقدامُ
هذي البقية لو حرصتم دولةٌ صال الرشيد بهـا وطال هشامُ
قِسمُ الأئمةِ والخلائف قبلكم في الأرض لم تُعدَل بهِ الأقسامُ
سرَت النبوَّة في طهورِ قضائهِ ومشى عليهِ الوحيُ والإلهـامُ
وتدفَّقَ النهرانِ فيـهِ وأزهرت بَغداد تحت ظلالهِ والشامُ
أثرتْ سواحله وطابت أرضـهُ فالدرّ لجٌّ والنُضار رغامُ

* * *

شرَفاً أدِرْنَهُ هكذا يقف الحمى للغاصبين وتثبت الأقـدامُ
وتردُّ بالدمِ بقعـةٌ أُخذت بهِ ويموت دون عرينـهِ الضرغامُ
والمُلك يؤخذُ أو يُرَدُّ ولم يزل يرث الحسامَ على البلاد حُسامُ
عِرضُ الخلافةِ ذاد عنهُ مجاهدٌ في الله غازٍ في الرسول همامُ

تستعصِمُ الاوطانُ خلف ظباتهِ　　وتعزُّ حول قناتهِ الأعلامُ
عثمانُ في بردَيه يمنع جيشهُ　　وآبن الوليـد على الحمى قوَّامُ
علم الزمان مكان «شكري» وانتمى　　شكر الزمان اليهِ والإعظامُ

* * *

صبراً أدِرْنَةُ كل مُلكٍ زائلٌ　　يوماً ويبقى المالك العلاَّمُ
خفَتَ الإذانُ فما عليكِ موحِّدٌ　　يسعى ولا الجُمَع الحسان تقامُ
وخبت مساجدُ كنَّ نوراً جامعاً　　تمشي اليـهِ الأسد والآرامُ
يدرجنَ في حرم الصلاة قوانتاً　　بيضَ الازار كأنهنَّ حَمامُ
وعفَت قبور الفاتحين وفُضَّ عن　　حُفَرِ الخلائف جنـدل ورجامُ
نُبشت على قعساءِ عزَّتها كما　　نُبشت على آستعلائها الاهرامُ
في ذمة التـاريخ خمسةُ أشهرٍ　　طالت عليكِ فكل يوم عامُ
السيف عار والوباء مسلطٌ　　والسبـل خوفٌ والثلوج ركامُ
والجوع فتَّاكٌ وفيكِ صحابةٌ　　لو لم يجوعوا في الجهاد لصاموا
ضنُّوا بعرضِكِ أن يباعَ ويُشترى　　عِرضُ الحرائر ليس فيهِ سوامُ
ضاق الحصارُ كأنما حلقاتهُ　　فلكٌ ومقذوفاتهـا أجرامُ
ورمى العدى ورميتِهم بجهنَّمٍ　　مما يصبُّ الله لا الأقوامُ
بعتِ العدوَّ بكل شبرٍ مهجةً　　وكذا يباع المُلك حين يرامُ
ما زال بينكِ في الحصار وبينهُ　　شُمُّ الحصون ومثلهنَّ عظامُ
حتى حواكِ مقابراً وحويتـهِ　　جثثاً فلا غبنٌ ولا استذمامُ